

لنوحده

قيادة النضال العربي

في أزمة تأميم القناة فوجيء الاستعمار بمستوى من الوعي والنضال والتنظيم في البلاد العربية لم يكن يتوقعه ولم يعد العدة له فارتبك وطاش سهمه وخسر المعركة، وكانت الولايات المتحدة أقل الدول الاستعمارية تورطاً وانغماساً مباشراً في تلك المعركة وبالتالي أقل من غيرها تحملاً لمسؤولية الفشل، فوجدت في ذلك الفرصة المواتية لتلعب دورها وتضع كل وزنها في ضرب وتفتيت حركة التحرر العربي فتتخذ بذلك مبدأ الاستعمار من الانهيار كما تتخذ بقايا هيبة حلفائها الانكليز والافرنسيين، وتصل مقابل ذلك الى أن ترثهم فيما كان لهم من مصالح في البلاد العربية وتبسط عليهم وعلى ضحاياهم، ظل نفوذها واستغلالها الثقيل. ويجب ان نعترف بأننا نحن العرب قد فوجئنا هنا بعض الشيء، فحسبنا نتيجة لهذه المفاجأة جولة صغيرة في بداية المعركة الجديدة الطويلة، ذلك لاننا لم نكن نصدق بسهولة أن المصالح الرأسمالية والعقلية الاستعمارية، قد سيطرت على حكومة الولايات المتحدة إلى هذا الحد الذي بزت معه الاستعمار القديم في أبشع صوره وأوقح أساليبه. والمعركة الاستعمارية الجديدة ليست مفاجأة لنا، فلقد كنا نتظرها عقب العدوان على مصر،

(١) جريدة البعث، العدد ٥٤، ١٧ أيار ١٩٥٧.

ولكن اسلوبنا في مواجهتها ما زال الأسلوب الذي يحتاج الى تطوير. لقد رفع الاستعمار مستوى هجومه بتسليمه قياده إلى أميركا لما تملكه هذه الدولة من قوة عالمية ووسائل فائقة في الضغط والافساد، تمكنها، علاوة على تهديدنا من الخارج بعدوانها وعدوان الدول الخاضعة لنفوذها، من التآمر من الداخل على استقلالنا وحریتنا وتماسك كياننا القومي بأسلحة الرشوة والافساد وإثارة الفرقة والانقسام والحرب الأهلية. وكل هذا يقتضينا نظرة جديدة وإعداداً جديداً في مستوى الخطر الذي نواجهه.

إن ذلك التنسيق في السياسة والنضال الذي حققناه فيما بين بعض أقطارنا لم يعد كافياً، ولا بد أن يصبح التنسيق توحيداً كاملاً لسياسة الأقطار المتحررة، وأن تتوحد قيادة النضال الشعبي في جميع أجزاء الوطن العربي. أما وحدة الجبهة الداخلية في داخل كل قطر، فلقد ظلت حتى الآن وحدة سطحية مرتجلة تخفي كثيراً من التضارب في المصالح والتنافر في العقلية والأساليب، ولا تستطيع بالتالي أن تصمد طويلاً أمام الهزات والمغريات. ويهمننا الآن ان نرسم خطوط هذه الجبهة الداخلية السليمة التي نحتاجها. ولنقل قبل كل شيء إن وحدة الجبهة الداخلية لا تفترض ولا تشترط منع أي انقسام، ولكنها تشترط أن يكون الانقسام صحيحاً أي مقتصرًا على الحد الضروري الذي لا بد منه في كل حركة تحررية سليمة، أي مقتصرًا على التفريق بين الغالبية العظمى من أبناء الوطن الذين تجمعهم على اختلاف ميولهم ومصالحهم واجتهاداتهم، الأخوة القومية ومصصلحة عليا واحدة في المحافظة على بقاء الأمة وسلامة الوطن واستقلاله، وبين ذلك النفر القليل من العملاء والمأجورين لأعداء البلاد. هذا النوع من الانقسام لانقبل به فحسب بل نتطلبه ونشرطه أيضاً، ولكن المهم الا نترك أحداً يمشي في صف الاستعمار وضد مصلحة الشعب والوطن، لمجرد نقص في الوعي عنده ونقص في وضوح الأهداف التحررية، ونشوء أوهام ومخاوف لا محل لها ولا مبرر، بين كثير من فئات المواطنين، تتيح للاستعمار أن يستغل ويفسد. إذن فما دامت حركة التحرر البري حركة جدية صادقة، فلا بد لها من الانفصال عن ذلك العدد المحدود من العناصر المريضة التي

حزمت من شعور الوطنية والكرامة الانسانية واستعدت للجشع والانانية . وما دامت حركة التحرر العربي حركة ثورية أصيلة تطمح إلى بناء المستقبل على اسس ثابتة قديمة، فلا بد لها من أن تقبل الانقسام العقائدي على المبادئ الفكرية والاجتماعية، ولا بد ايضاً من ان تحدد الطبقة المؤهلة لقيادة هذا النضال .

ونظرة واحدة نلقيها على تركيب جبهتنا الداخلية في معظم اقطارنا وعلى توزيع القوى السياسية والأحزاب والتكتلات، تقنعنا باصطناع هذا التوزيع، وهذه الخلافات التي خلقتها الدعايات والمصالح والأهواء الشخصية الصغيرة اكثر مما صنعتها الفروق العقائدية واعتبارات المصلحة القومية .

ولاشك أن الطريق الذي سارت فيه الحياة الحزبية في سورية والأردن والخطوات التي قطعتها، انما هي علامة إيجابية تدل على نمو الوعي القومي ونضج التنظيم الشعبي وتدعو في جملتها إلى التفاوض . وقد يكون طبيعياً أن يرافق هذه الحياة الحزبية في أولى خطواتها شيء غير قليل من التشويش والالتباس يجعل توزع المواطنين بين الأحزاب توزعاً غير دقيق وغير منسجم كل الانسجام مع الأوضاع الاجتماعية لفئات المواطنين ومع ما لهذه الفئات من مصالح وأهداف، فنجد هكذا قسماً من الطبقة الكادحة والمتوسطة يعمل في صف الأحزاب التي تقاوم الاصلاح الاجتماعي وتعرقل حركة التحرر القومي . إلا انه لم يعد جائزاً مع هذا الحد من الوعي الذي بلغناه، وفي هذه المرحلة القومية الحاسمة المثقلة بالأخطار والمسئوليات، أن نقبل بهذا الوضع المشوش الملتبس . فالوقت جد مناسب لاعادة النظر وزيادة التوضيح في سبيل تصحيح حياتنا الحزبية قبل أن تتبلور، وتعميق تربيتنا السياسية القومية قبل ان تصبح الأوهام والأهواء جزءاً من دمها ولحمها .

وان أهم مقياس نهتدي به في هذا التصحيح هو: أولاً، تعيين أهداف المرحلة التي نجتازها لكي لا نختلف اليوم على شيء لم يحن بعد وقت تحقيقه، ولم يحن بالتالي وقت الاختلاف عليه . ثانياً، ان نربط بين أهدافنا القومية في هذه المرحلة رباطاً عميقاً وأن نوضح هذا الترابط توضيحاً كاملاً، لكي لا يبقى داع للتناقض والالتباس وللتناحر والانتكاس . فالمرحلة مرحلة تحرر قومي لجميع اجزاء الوطن

العربي . ويدعم هذا التحرر، لكي لا يبقى شعاراً أجوف ونضالاً متعكساً متضارباً، تحقيق بعض الخطوات الواقعية في مجالي الوحدة العربية والاصلاح الاجتماعي . ويجب أن يكون واضحاً أن ما تقتضيه المرحلة التحررية من تضامن بين جميع العرب المؤمنين بحق امتهم في الحياة، لايجوز أن يعني بشكل من الأشكال أن الأوضاع الفاسدة يجب ان تستمر دون اي إصلاح وتقدم، وإن الحكام يستطيعون أن يحكموا الشعب بالارهاب والتنكيل، وأن يقضوا على طلائعه الواعية وقواه النضالية ثم يدعون في الوقت نفسه أنهم يحاربون الاستعمار ويعملون للتحرر القومي، إذ أن محاربة الاستعمار تكون بانعاش الشعب لا بقتله . كما أن هذا التضامن القومي لايجوز أن يعني اطلاق يد كبار الرأسماليين والاقطاعيين في امتصاص دماء الشعب وفي إفقاره وفي خنق امكانياته الانتاجية والنضالية، لأنهم إذا استمروا في هذا الأسلوب الاستغلالي الجشع وفي تجاهل ما للشعب وللأمة من حق عليهم فإنهم سيجدون أنفسهم دوماً في صف الاستعمار مضطرين غير مختارين يملئ عليهم شروطه ويسخرهم لأغراضه، لأنهم بإضعافهم الشعب قد اضعفوا انفسهم وبلادهم .

وهكذا إذا حاولنا أن نمضي في توضيح المرحلة التحررية وعلاقة أهدافها بعضها ببعض يمكن ان نصل إلى تضييق شقة الخلاف بين الأحزاب والفئات السياسية والاجتماعية، وان نتفق على بعض القواعد الأساسية كبداية للالتقاء والتعاون على تحقيق أهداف واصلاحات عاجلة ضرورية للأمة العربية، كأمة مناضلة في سبيل حريتها وبقائها، وللشعب العربي كشعب يجاهد في شتى اقطاره في سبيل التقدم والبناء .

إن الهدف الرئيسي والنهائي في المرحلة الحاضرة الذي هو التحرر من الاستعمار، هدف لايجادل فيه أحد . ولكن جدية هذا الهدف تتوقف على الطريق الذي نختاره لبلوغه، وعلى الضمانات الاساسية التي تعين صحة الطريق وبالتالي صدق تبني الهدف . هذه الضمانات هي : أولاً، الدفاع عن الحرية السياسية والاوزاع الدستورية . ثانياً، العمل للوحدة العربية في جميع المجالات الممكنة . ثالثاً، تحقيق الاصلاحات الاجتماعية الضرورية لرفع مستوى الشعب . هذا ما

تستطيع الاحزاب والهيئات أن تتفق وتتعاون عليه في جبهة عربية شعبية واحدة.

١٧ أيار ١٩٥٧